الجانب الإشارى لسلطان العارفين
أبو يزيد البسطامي

اعداد

أ.د ثروت حسين محمد سالم

أستاذ العقيدة والفلسفة

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

جامعة الأزهر الشريف

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيد الخلق اجمعين ،سيدنا محمد وعلى اله وسحبه أجمعين وبعد.....

فهذه صفحات نعايش فيها أقوال سلطان العارفين "ابى يزيد البسطامى " والذى تداولته الاقلام بين قدح ومدح ، ومن المعروف أن علم التصوف دقيق وخطير ويحتاج لماهر به وحاذق لآرائه ولا يكفى هذا كله بل لابد من التذوق والسير فى ركابه وعندئذ تتجلى الحقائق ،ومن معين النبوة كانت لأولئك القوم كرامات تؤيدهم جماعها الايمان الكامل والذى تبطن بالتقوى مصداقا لقول الله تعالى" واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم " [1]، ومن المعلوم أن التصوف كفن مر بمراحل متعددة ونسب لأربابه أقوال لم يتقولوها واختلط عند بعض القراء ما يعرف بالتصوف الفلسفي بالسنى ولكل وجهة هي موليها ، ولقد حرص أوائل القوم ومن تبعهم على التأكيد المستمر والدفاع المستميت عن آرائهم والتي تنطلق من مشكاة النبوة .فعلمهم مبنى على الأصلين الكتاب والسنة ومن قال بغير ذلك فلا ينسب إلى أرباب الطريق ، كما انهم فى مواجيدهم وأحوالهم لم ينطقوا بما يخالف الشرع الحكيم. وإن طريقتهم لا تفصل الشريعة عن الحقيقة ، فمن لم يتشرع لم يتحقق" فهما وجهان لعملة واحدة فلا صحة لترك صيام او صلاة وأي شعيرة بحجة الاتصال بالله ومن هنا أدلى أرباب الاشارة معبرين وناطقين عن أمرهم وطريقتهم والتي لا تختلف في رأى أهل السنة عن ترك النفس لتسبح فى عالم المجردات متأملة ومتفكرة قوامها المجاهدة والرياضة منطلقة من قوله تعالى " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم

---

١ سورة البقرة جزء من الاية رقم

سبلنا وإن الله لمع المحسنين " وقد ألمع العلماء اقصد أهل الطريق إلى تلك الروحانيات العالية من خلال مقاماتهم وأحوالهم وصولا الى الله تعالى. وقد تناقلت عبر العصور المختلفة اقوال لأبى يزيد البسطامى تصب فى اطار التصوف الفلسفي والذى يهتم بالجانب النظري من خلال اقوال اربابه غالبا، وقد تلقته اللآيدى الغاشمة نيلا من التصوف واربابه ودفعا به الى الساحة الاسلامية على انه يمثل الإسلام ولكن ألسنة المفكرين وأرباب الذوق كانت لهم بالمرصاد ناهيك عن اعلاء التصوف السنى عن نفسه بمعالمه الواضحة البراقة أن متبعية ليسوا فصيلا منفصلا عن المجتمع ،وانما اقوالهم تضم الى اهل السنة والجماعة وهكذا ليسعد الجميع وينطلق الكل من منطلقات المعرفة من حس وعقل واشراق فى ضوء الوحى الإلهي المعصوم وصولا الى مرضات رب العالمين .

أبو يزيد البسطامى(١)

(ت ٢٦١هـ /٨٠٤م)

قبل أن نتناول الحديث عن أبى يزيد البسطامي ، يقضينا المقام أن نبين اننا بصدد دراسة هذه الآراء باعتبار أنها سيقت فى البيئة الإسلامية فهي ليست من الإسلام ، وانما هي دخيلة على التصوف السنى والحكايات عن ابى يزيد مختلفة، ومن هذا المنطلق فإننا بصدد تناولنا لها انما نكشف عما وراءها والمقصود بها ورؤية أرباب التصوف السنى فيها ٠

أبو يزيد البسطامى (١) (ت ٢٦١هـ /٨٠٤م) وكان قد غلب عليه حال الفناء ٢حتى كان لايري في نومه. ولا فى يقظته غير الله تعالى

---

١ هو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البِسطامِي، من أهل القرن الثالث الهجري، يلقب بـ "سلطان العارفين" اسمه الفارسي "بايزيد" كما عرف كذلك باسم طيفور، كان جده شروسان مجوسيًا وأسلم، وله أخوان هما آدم وعلي. ولد سنة١٨٨هـ في بسطام في بلاد خراسان في محلة يقال لها محلة موبدان(٢) روى عن إسماعيل السدي، وجعفر الصادق . توفي سنة ٢٦١هـ وقيل سنة ٢٣٤ هـ راجع التصوف المقارن د محمد غلاب ص ٥٣ وما بعدها . ط نهضة مصر. طبقات الصوفية السلمى ٦٥

٢ أنواع الفناء عند الصوفية الأول :- الفناء عن ارادة ما سوى الله –تعالى – ،وعن عبادة ماسواه ،وتكون ارادته عند حدود ارادة الله تعالى –للأشياء ،فلا يريد الا مراد الله تعالى ،وهذا النوع من الفناء وليد المحبة التى تتعلق بما يحبه الله ويرضاه ،فيكون هوى النفس تابعا لما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب ،فلا يريد المرء إلا مايريده الله ،ولايحب الا ما يحبه الله ،وعند ذلك تتحد إرادته مع ارادة الله ،ويفنى مراده عند رؤيته إرادة الله .وهذا النوع هو مقام النبيين والأولياء والصالحين من اتباع الرسول تالواقفين عند اوامره ونواهيه ،المتقربيين الى الله بفرائضه ونوافل رسوله صلى الله عليه وسلم .

النوع الثانى : فهو فناء عند شهود السوى ،بمعنى ان يفنى المرء عند شهود ما سوى الله .وقد يكون من اسبابه استغراق القلب فى المدومه على بالذكر والعبادة ،فلا يشعر حال استغراقه الا بالله ، رغباو رهبا ، محبة فما عند الله او خوفا من بطش الله وعذابه ، فإذا اشتد به حاله أصبح غائبا عن نفسه وبمشهوده عن شهوده ، وبمذكوره عن ذكره ،وبمعروفه عن معرفته ، حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل ،ويصف ابن تيمية على هذا النوع "انه فناء القاصدين من الأولياء والصالحين .=

ولا يوافق ولايطالع سواه ،وهو أول من استخدم لفظ الفناء بالمعنى الصوفى الدقيق (٢) أى بمعنى محو النفس الإنسانية وآثارها وصفاتها ويعد بحق أول واضع لهذا المذهب ١

واليك طرفا من أقواله درات فيها النقاش بين مؤيد ومعارض ومتأول لتلك الأقوال وهدفنا الوصول بالقارئ إلى طبيعة هذا الاتجاه الاشارى وما يتوقف عليه من نحو الذوق فمن ذاق عرف ومن حرم انحرف فمن كان من غير أربابه هاله ما يسمع او يقرا ومن هنا نمضى سويا للتعرف على هذا العلم بين مادحيه وقادحيه ونستأنس بداية بقول العلامة شيخ الأزهر الدكتور عبدالحليم محمود : " فلا بد أن يبلغ الإنسان المستوى أو يقارب المستوى ، وحينئذ سيقول كما قال أسلافنا الذين بلغوا المستوى أو قاربوه " [٢]

= وليس دليل كمال فى ايمانهم ولكنه دليل ضعف فى استعدادهم ،لأن الصحو أفضل من السكر ،والبقاء أفضل من الفناء .

النوع الثالث :- هو الفناء الذى يؤدى الى الحلول والاتحاد ، فلا يرون فى الوجود وجودا لسواه ، لابه ولا بغيره ، بل الكل عندهم عدم محض ، ولا موجود حقيقة الا الله . والفرق بين بهذا الفناء والذى قبله ، أن اصحاب هذا النوع الاخير يرون ان كل ما يحيط بهم من عالم الأشياء هو رب السماوات والأرض . أما اصحاب النوع السابق فإن قلوبهم لما استغرقت بذكر الله ومحبته لم يروا خالقا ولا مدبرا ولا رازقا إلا الله تعالى –فسلموا له امورهم إما خوفا من عذابه ،وإما طمعا فى رضوانه ، ولهذا فان حالهم فى الفناء جاء من منطلق الرجاء أو الخوف ،وأكمل أنواع الفناء ،هو الفناء عن ارادة العبد عند رؤية ارادة الله وما سوى ذلك فهو دليل نقص . وآية عجز ، والنوع الاول من الفناء قد يسمى أحيانا فناء عن عبادة ما سوى الله تعالى وكلا الاسميين متضمن الاخر .وهذا هو الفناء المحمود شرعا. ينظر الرسالة – القشيرى هامش ١٣٠ ط المكتبة التوفيقية . وينظر / من قضايا التصوف فى ضوء الكتاب والسنة . د محمد السيد الجليند ١٥٩ ك دار العلوم –١٩٨٥م

١ راجع التصوف الإسلامي بين أنصاره وخصومه /د عبد الرحمن المراكبى.

٢ ينظر قضية التصوف المنقذ من الضلال لعبدالحليم محمود ١٦٣

كذلك يرى عدد من الباحثين أن أقوال البسطامى كانت إحدى طلائع التصوف النظري وانه أول من نشر فكرة الفناء فى البيئات العربية، على حد تعبير د غلاب [1].

سئل عن المعرفة ومنبعها" فأجاب ببطن جائع ،وبدن عار " .وقال ايضا :- لو نظرتم إلى رجل أعطى كرامات حتى يرتقى فى الهواء فلا تغتروا به حتى تجدونه عند الامر والنهى وحفظ الحدود واداء الشريعة .[2] وهذا النص يوقفنا على أهمية الأصلين "الكتاب والسنة " والرجوع إليهما ويستقرئ معنا تلك الآراء التي سيقت على لسانه فيما بعد لنقف منها موقف الناقد البصير

ولكن يبدو ان هناك تطورا واضحا فى أقواله فمن ذلك قوله : ّ للخلق أحوال ولا حال لعارف لأنه محيت رسومه، وفنيت هويته فى هويه غيره ،وغيبت اثاره فى أثار غيره .

ويقول " خرجت من الحق حتى صاح منى فىّ : يامن أنت أنا فقد تحققت بمقام الفناء فى الله (٥)

ويقول أيضا :" منذ ثلاثين سنة كان الحق مرأتى فصرت اليوم مرأة نفسى لأنني لست الآن من كنته وفى قوله "أنا والحق" انكار لتوحيد الحق لأنني عدم محض فالحق تعالى مرأة نفسه بل أنظر : ان الحق مرأة نفسى !!! لأنه هو الذى يتكلم بلسانى أما أنا فقد فنيت (١)

ويعبر صراحة عن الاتحاد بقوله : إنى أنا الله فأعبدنى" (٢)

---

١ التصوف المقارن د محمد غلاب ص ٥٣ وما بعدها ، ط نهضة مصر وكذا البعد الرابع د مصطفى غلوش ١١٥

٢ ، راجع التصوف المقارن د محمد غلاب ص ٥٣ وما بعدها ، ط نهضة مصر

وقوله أيضا: – سبحاني ما أعظم شأني " انه غاية الفناء الذى وصل إلى درجة الاتحاد بالله حتى أضحى هو الله سبحانه. فكيف يفهم هذا الكلام ؟ والجواب عند حجة الاسلام وتفسيره حيث يقول في إحياء علوم الدين)) : وأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى وإن سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام يردده في نفسه، كما لو سمع وهو يقول { إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني } فإنه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية)) [ص ٥٨ / ١[

فهو لا يكتفى بالفناء عن شهود السوى بحيث لا يشاهد الا حقيقة واحدة هي الله تعالى بالفناء عن ارادة السوى ، وعن ارادة نفسه ؛ لأنه أراد أن لا يريد وانما تجاوز ذلك إلى فناء الوجود فى عين الموجود حتى صار " هو هو "وهو يشير إلى هذا الاتحاد بقوله " أنا الحق "انكار لتوحيد الحق "انى أنا الله الا اله الا أنا فاعبدني" سبحاني ما أعظم شأني "

وتزداد جرأة ابى يزيد وحريته فى التعبير عن حال فنائه واتحاده بربه فينطق بهذه العبارات من الشطح التى تقرع السمع وتصدع القلب وتحير الفكر ،فيأخذ الإنسان العجب لذلك ويذهب فى هذا القول كل مذهب ٠

وجاء في حلية الاولياء قول أبى نعيم في حلية الأولياء والذي يظهر من كلامه أنه يصحح عبارات البسطامي فقد قال : ((إشاراته هائنة وعباراته كامنة لعارفيها ضامنة ولمنكريها فاتنة] ص ٣٤ / ١٠

ويذكر لنا صاحب التذكرة وصاحب الرسالة (٤) قصة معراج أبى يزيد التي تؤكد نظريته فى الاتحاد وكيف وصل إلى هذه الدرجة التي ترنو إليها أبصار السالكين فيقول على لسان أبى يزيد :" كنت أثنتى عشره سنه حداد نفسى ألقيت بها فى كور الرياضة ، وأحرقتها بنار المجاهدة ، ووضعتها على سندان المذمه ،وطرقتها بمطرقة الملامة ،حتى جعلت منها

مرأة وكنت خمسين سنة مرأة نفسى أصقلها دائما بأنواع من العبادات والتقوى وسنة أنظر فيها بعين الاعتبار .وقد نظرت فاذا فى وسطى زنار من الكبر والعجب والرياء والاعتماد على الطاعات فعملت خمس سنين حتى انقطع ذلك الزنار واعتنقت الاسلام من جديد ونظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى فكرت عليهم أربع تكبيرات، ورجعت من جنازتهم جميعا ووصلت إلى الله بعون الله وحده من غير وساطة من الخلق[1]

وهو هنا " وصول " بالمعنى الفلسفى لا قربا بالمعنى الشرعى أو وصول بمعنى القرب وهو وصول غير وساطه من أحد .

ويؤكد البسطامى نظريته فى الاتحاد عبر الفناء فيما جاء عنه فى مخطوطة النور من كلمات أبى طبقور عن الربيع قال : حدثنا خلف قال : دق رجل على أبى يزيد باب داره فقال له من تطلب ؟ قال : أطلب أبا يزيد ، قال : مرّ ويحك فليس فى الدار غير الله "" وفى روايه قال يطلب أبى يزيد منذ أربعين سنة ، فرجع الرجل إلى ذى النون وأخبره فغشى عليه ،وعند القشيرى فبكى ذو النون وقال : أخى أبو يزيد ذهب مع الذاهبين إلى الله تعالى ٠

ويروى الطوسى تأويل هذا النص على وجه سائغ كعادته فى الدفاع عن شطحات أبى يزيد ، رغم وضوح العبارة فى طلب الاتحاد والوحدة ، كان الطوسى فى قرار نفسه لايقر ما ذهب إليه البسطامى على حقيقته ولذلك حكى عن ابن سالم : أن فرعون ذاته لم يقل ماقاله البسطامى عن الله تعالى ، لان لغظ الربقد يطلق على غير الله أيضا ، أما لفظ

١ راجع الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة عبد الرحمن عبد الخالق ٣١٧ طدار الحرمين الخامسة ١٩٩٣م .

" سبحان " فلا يطلق الا على الله وحده .[١]

ومادام البسطامى قد وصل إلى درجة الاتحاد بالله –على ما نسب إليه –فهو فى درجة تعدل بل تفوق درجة الانبياء لأنهم دونه فى هذا التسامى الروحى الذى وصل به إلى درجة الاتحاد بالله تعالى ومادامت هذه منزلة أبى يزيد ودرجته عند الله أو مع الله سبحانه وتعالى فانه سيجعل من نفسه الفداء للناس من النار يوم القيامة وسيستأذن ربه فى ذلك ، بل ليس لله في نظرة أن يعذب البشر ، وماذا عليه لو غفر لهم ، وهم قضة من تراب ؟ وأي شرف أن يحرق قبضة من تراب وما الانسان ؟ انه عظام جرى عليها قضاء الله فما ذنبها ان هي أخطأت ، وقد خلق الله الناس بغير علمهم وقلدهم امانة من غير ارادتهم ، فان لم يعنهم فمن ذا يعنيهم ٠

وأما الجنة فى نظرة فهى لعبة صبيان وليس لها معنى الا أنها مجال لرؤية الله فقط ولو حجب الله خواص عباده عن رؤيته فيها لاستغاثوا بالخروج منها كما يستغيث أهل النار للخروج من النار .[٢] وعن ذلك يقول الإمام الذهبي وله هكذا نكت مليحة ، وجاء عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها الشأن في ثبوتها عنه ، أو أنه قالها في حال الدهشة والسكر

١ يفسر د /بدوى مارمى إليه الرجل من شأن العداوة التى كان يكنها الرجل ابى الحسن احمد المتوفى ٣٥٠ هـ تجاه ابى يزيد والذى قاد حملة توكيدا لمذهب السالمية والذى هو مزيج من التصوف وعلم الكلام ا– من مذهب اهل الاعتزال ووحدة الوجود –ومنه صورة واضحة لقوت القلوب للمكى تلميذ الرجل ويلوح ان خصومة ابن سالم كانت خصومة مذهبية فى داخل التصوف ٠ فهجوم ابن سالم لم يكنعلى ظاهرة الشطح نفسها ٠ ولهذا يرى د بدوى فهم هذه الامور بحسب مدلولها الواضح الذى يشف عنه اللفظ ٠ ينظر شطحات الصوفية ٣٢ ط وكالة المطبوعات .

٢ ينظر ميزان الاعتدال ٤٤٧/٣.

والغيبة والمحو ، فيطوى ولا يحتج بها إذ ظاهرها إلحاد[1]

ولقد قرئ عنه يوما قول الله تعالى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا)[2] فهاج ، ثم قال من كان عنده فلا يحتاج أن يحشر لأنه جليسه أبدا "[3]

وللبسطامي كثير من الشطحات التي يقف أمامها المسلم مشدودا متحيرا لأنه أمام أقوال لو صدرت عن مسلم فى حالة صحو وأخذت على ظاهرها فهى بهتان عظيم وخطر جسيم ، فكيف ساغ لأبى يزيد أن يتفوه بمثلها ؟

ولكن وقع ذلك قد يخفف نوعا إذا علمنا أن مثل هذه العبارات قد نطق بها صاحبها ان صحت نسبتها إليه ، وكثير مما نسب إلى ابى يزيد مشكوك فى نسبته إليه – فى حال وجد قوى ، أو فى حالة سكر وفناء ، فهو مغلوب على أمره ومعذور فيما يصدر عنه من عبارات مستغربه بل مستشنعة ولذلك دافع عنه الطوسى والإمامان الغزالى والجنيد وقد قيل للأمام الجنيد : إن أبا يزيد يقول : سبحانى !! أنا ربكم الأعلى !! فقال الجنيد:– " إن الرجل مستهلك من شهود الجلال فينطق بما استهلكه ، أذهله الحق عن رؤيته أياه. فلم يشهد الا الحق فنعته ويقول أيضا:– إن الحكايات عن أبى يزيد مختلفة، والناقلون عنها فيما سمعوه مفترقون" ذلك والله أعلم لاختلاف الأوقات الجارية عليه فيها ، ولاختلاف المواطن المتداولة بما خص فيها ، فكل يحكى عنه ما ضبطه من قوله ، ويؤدى ما سمع من تفصيل موطنه "

---

١ سير اعلام النبلاء ٨٦/٠١٣

٢ سورة مريم جزء من الاية ٨٥

٣ حلية الاولياء

وكان يرى أن البسطامي من أصحاب الأحوال المغلوب على أمرهم وصاحب الحال لا يقتدى به فهو ليس من ارباب التمكين بل من أرباب الأحوال ، والأحوال بداية ، والتمكين نهاية ، وكان يقول ان أبا يزيد من عظم حاله وعلو اشارته لم يخرج من حاله البداية، ولم اسمع منه كلمة تدل على الكمال والنهاية"

وقد وصف ابن تيميه فناء البسطامي بأنه فناء قاصر فيقول" ، لَكِنَّ بَعْضَ ذَوِي الْأَحْوَالِ قَدْ يَحْصُلُ لَهُ فِي حَالِ الْفَنَاءِ الْقَاصِرِ سُكْرٌ وَغَيْبَةٌ عَنْ السَّوِيِّ وَالسُّكْرِ وُجِدَ بِلَا تَمْيِيزٍ. فَقَدْ يَقُولُ فِي تِلْكَ الْحَالِ: سُبْحَانِي أَوْ مَا فِي الْجُبَّةِ إلَّا اللَّهُ ،أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِنْ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تُؤْثَرُ عَنْ أَبِي يَزِيدَ البسطامي أَوْ غَيْرِهِ مِنْ الْأَصِحَّاءِ وَكَلِمَاتُ السَّكْرَانِ تُطْوَى وَلَا تُرْوَى وَلَا تُؤَدَّى؛ إذَا لَمْ يَكُنْ سُكْرُهُ بِسَبَبِ مَحْظُورٍ مِنْ عِبَادَةٍ أَوْ وَجْهٍ مَنْهِيٍّ عَنْهُ.

فَأَمَّا إذَا كَانَ السَّبَبُ مَحْظُورًا لَمْ يَكُنْ السَّكْرَانُ مَعْذُورًا لَا فَرْقَ فِي ذَاكَ بَيْنَ السُّكْرِ الْجُسْمَانِيِّ وَالرُّوحَانِيِّ؛ فَسُكْرُ الْأَجْسَامِ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَسُكْرُ النُّفُوسِ بِالصُّوَرِ وَسُكْرُ الْأَرْوَاحِ بِالْأَصْوَاتِ. ٢/ ٤٦١

ومن سياق تلك المعيشة الكريمة للرجل ترى العجب وشدة قبضه على دينه فقد كان محافظا على أداب الشريعة وفى ذلك ما اورده الإمام القشيرى عنه "فيما ذكر عن ابى نصر السراج –قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذى شهر نفسه بالولاية ،وكان رجلا مقصودا مشهور بالزهر ،فمضينا إليه فلما خرج من بيته ومضى الى المسجد ،رمى ببصاقة تجاه القبلة "فمضى ابو يزيد وصاحبه قائلا له قم بنا ولم يسلم عليه قائلا هذا رجل غير مامون على ادب من اداب رسول الله ﷺ فكيف يكون مامونا على ما يدعيه ؟[١]

١ الرسالة – القشيرى ٤٤

تعقيب

وبعد هذا العرض عن أبى يزيد البسطامى إنما أردنا استجلاء الأمر لدى أربابه ودفعا لما قد يتوهم نحوه من آراء سيقت فى حال السكر، ناهيك عن اعتراضه عنها فى يقظته وقد ألمعنا إلى ذلك مسبقا وهنا ننتهى إلى ما يلى :-

أولا : - اختلاف النقل عنه كما يقول الإمامان الجنيد والغزالى . وفيه كما سبق التنبيه إليه ٠ يقول "والحكايات عن أبى يزيد مختلفة ، والقائلون عنه فيما سمعوه مفترقون ، وذلك لاختلاف الأوقات الجارية عليه فيها ،ولاختلاف المواطن المتداولة بما خص منها ، فكل يحكى عنه ما ضبط من قوله ،ويؤدى ما سمع من تفصيل موطنه .١

***قَالَ السُّلَميّ فِي تاريخه : مات أبو يزيد عن ثلاث وسبعين سنة، وله كلام حسن في المعاملات.قَالَ: ويُحكَى عَنْهُ فِي الشَّطْح أشياء، منها ما لا يصح، أو يكون مقولا عليه. وكان يرجع إلى أحوال سنية ."

ثانيا:- كان يتكلم من حيث وقته ووجده ، وفى حاله فنائه وسكره ، وحال الفناء والسكر يطوى ولا يروى وفى هذا المعنى يقول:- الإمام السيوطي رحمه الله : (واعلم أنه وقع في عبارة بعض المحققين لفظ الاتحاد إشارة منهم إلى حقيقة التوحيد ، والتوحيد معرفة الواحد الأحد ، فاشتبه ذلك على من لا يفهم إشاراتهم ، فحملوه على غير محله [٢].

وعليه يحمل أن من تعرض لهم بالتكفير والتشهير ونسبة الشرك إليهم بلا تفرقة بين الصادقين منهم والمدعين الكذابين ،والمشعوذين الماكرين فقد عرض نفسه للتهديد الشديد والوعيد الصارم ،الذى ورد عن

١ اللمع – الطوسى ٤٦٠ وما بعدها .

٢ ينظر الحاوي للفتاوي للسيوطي ١٣٤/٢

الله تعالى فى الحديث القدسى " من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب[١].

ويقول : الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال : ((ومن الناس من يصحح هذا عنه ويقول قاله في حال سكره)) [ص ٤٧٤ / ٣].

ويرى الحافظ ابن كثير –رحمه الله– في "البداية والنهاية" أخرج نفسه من القطع بشيء فقال:قَالَ الْقَاضِي ابْنُ خِلِّكَانَ: وَلَهُ مَقَامَاتٌ كَثِيرَةٌ وَمُجَاهَدَاتٌ مَشْهُورَةٌ وَكَرَامَاتٌ ظَاهِرَةٌ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ. قُلْتُ : قَدْ حُكِيَ عَنْهُ كَلِمَاتٌ فِيهَا شَطْحٌ، وَقَدْ تَكَلَّمَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَالْفُقَهَاءِ عَلَيْهَا –فَمِنْ مُتَأَوِّلٍ عَلَى الْمَحَامِلِ الْبَعِيدَةِ، –أَوْ قَائِلٍ: إِنَّ هَذَا قَالَهُ فِي حَالِ الِاصْطِلَامِ وَالسُّكْرِ، –وَمِنْ مُبَدِّعٍ وَمُخْطِّئٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ثالثا:– كان ينكر مايروى عنه فى حالة سكره وقت صحوه حتى كان يقول لاصحابه إذا عدت إلى مثلها فقطعونى بمداكم ، لأنه كان يستشنع ما يحكى له عن نفسه.

رابعا:– ولأن الدس عليه ، والوضع فى أقواله كان كثيرا .

خامسا:– كان الرجل صاحب حال ، لا صاحب كمال ، وصاحب بداية لا نهاية كما هو رأى الإمامين الجنيد وابن تيميه فيه (٢٠٠)

ويقول ابن تيمية – وهذه الألفاظ التي قالها أبو يزيد معروفة فى إدخال المراد فيها أريد منها ولذلك عندما سئل الإمام الجنيد عن المريد والمراد؟ فقال : المريد تتولاه سياسية العلم أي المجاهدة والرياضة النفسية ، والمراد تتولاه رعاية الحق سبحانه ،لان المريد يسير والمراد يطير ،فمتى

---

١ ينظر التصوف والصوفية فى ضوء الكتاب والسنة ١١٠ وما بعدها .

٢ التصوف الإسلامي بين أنصاره وخصومه أ.د عبد الرحمن المراكبى، وينظر مجموع الفتاوى ٧٤/١١ وما بعدها.

يلحق السائر بالطائر .١وربما كان هذا التمييز الروحانى بين المريد والمراد فى طريقهم إلى الله وفى قربهم من محبوبهم الأول سبحانه وتعالى ."٢

ومن المؤرخين من دافع عن الرجل مبينا سلامه قصده وداعيا الى التثبت فى الصحو والسكر فهذا الإمام الذهبى يقول : "وقد نقلوا عَنْهُ أشياء من متشابه القول، الشّأن فِي صحّتها عَنْهُ، ولا تصحّ عن مُسْلِمٍ، فضلًا عن مثل أبي يزيد، منها: سبحاني. ،ومنها: ما النّار، لَأَسْتَنِدَنَّ إليها غدًا، وأقول: اجعلني لأهلها فِدَاء، أو لأبلغنها. ما الجنّة، لُعبة صبيان ومراد أَهْل الدُّنيا. ما المحدِّثون إنّ خاطبهم رجلٌ عن رَجُل، فقد خاطبنا القلب عن الرّبّ.وهذا الشَّطْح إنْ صحّ عَنْهُ فقد يكون قاله فِي حالة سُكْره، "ثم يردف قائلا ". وبعض العلماء يقول هَذَا الكلام مقتضاه ضلاله، ولكن له تفسير وتأويل يخالف ظاهره، فالله أعلم.٣

ويقول ابن خلدون :- واما الشطحات التى يؤاخذ الفقهاء الصوفية عليها فيبررها بأنهم فى حالة يغيبون فيها عن وعيهم وعن عالم الحس ، ويكونون فيها تحت سلطان ما ينعكس على قلوبهم المجلوة من واردات لا يجدون فى التعبير عنها الا الفاظا وعبارات كالتى قالها البسطامى . بل وصل الأمر الى عدم تكفير صاحبها وعدم حملنها على ظاهرها بل على معانيها الباطنة لا الظاهرة الموهمة بالكفر ٤

---

١ الرسالة – القشيرى ٩٤ وينظر اللمع -١٦١.

٢ ينظر دراسات فى التصوف الاسلامى د محمد جلال شرف ٢٦١ ط دار المعرفة الجامعية

٣ ينظر سلطان العارفين د عبد الحليم محمود ٦٠ وما بعدها ط دار المعارف ٠ سير اعلام النبلاء ١٣:٨٩

٤ موقف ابن خلدون من علمى الكلام والتصوف ٠ خميسى ساعد نشرت ضمن فعاليات ابن خلدون والحداثة بتونس ٠ ٢٠٠٦

*ويزيد ابن تيمية الأمر وضوحا مبينا إن الأمر لا يؤخذ على ظاهرة بل يجب التنقيب عنه وعن قائله ونسبته إليه من عدمه وفى هذا الإطار تكون جدية البحث العلمى وهذا كلامه "– فَإِنَّ كَثِيرًا مِمَّا يُنْقَلُ عَنْ هَؤُلَاءِ كَذِبٌ عَلَيْهِمْ وَالصِّدْقُ مِنْ ذَلِكَ فِيهِ مَا أَصَابُوا فِيهِ تَارَةً وَأَخْطَئُوا فِيهِ أُخْرَى وَأَكْثَرُ عِبَارَاتِهِمْ الثَّابِتَةِ أَلْفَاظٌ مُجْمَلَةٌ مُتَشَابِهَةٌ لَوْ كَانَتْ مِنْ أَلْفَاظِ الْمَعْصُومِ لَمْ تُعَارِضْ الْحُكْمَ الْمَعْلُومَ فَكَيْفَ إذَا كَانَتْ مِنْ قَوْلِ غَيْرِ الْمَعْصُومِ .وَقَدْ جَمَعَ أَبُو الْفَضْلِ الْفَلَكِيُّ كِتَابًا مِنْ كَلَامِ أَبِي يَزِيدَ البسطامي سَمَّاهُ " النُّور مِنْ كَلَامِ طيفور " فِيهِ شَيْءٌ كَثِيرٌ لَا رَيْبَ أَنَّهُ كَذِبٌ عَلَى أَبِي يَزِيدَ البسطامي وَفِيهِ أَشْيَاءُ مِنْ غَلَطِ أَبِي يَزِيدَ – رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ – وَفِيهِ أَشْيَاءُ حَسَنَةٌ مِنْ كَلَامِ أَبِي يَزِيدَ وَكُلُّ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إلَّا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .ا.هـ ١٣/ ٢٥٧

فللقوم احوال يخصون بها لايرقى إليها الامن ذاقها وسار من اربابها ولهذا وصفه العلامة الشيخ الحافظ أبو نعيم رحمه الله :بقوله ومنهم التائه الوحيد، الهائم الفريد، البسطامي أبو يزيد تاه فغاب، وهام فآب، غاب عن المحدودات إلى موجد المحسوسات والمعدومات. فارق الخلق ووافق الحق.فأيد بأخلاء الخير، وأمد باستيلاء البر، إشارته هانئة، وعبارته كامنة. لعارفيها ضامنة، ولمنكريها فاتنة[١]

وكذلك أكد على صحة الاعتقاد وتقول البعض على ابى يزيد الإمام عبد الله الانصارى الهروى "ت ٤٨١"قائلا "ان كثيرا من الاكاذيب قد انتحل باسم أبى يزيد البسطامى مثل قوله " صعدت الى السماء وضربت قبتى بازاء العرش " ويمضى الإمام عبد الحليم محمود قائلا ان الاصل

١ حلية الاولياء ٢٦٢/٤

وهو الذى مات عليه أبو يزيد "اى الاتباع "أما ما عداه فانه غير صحيح . ويمضى –الإمام قائلا – ان هذا الامر دأب القافزين على الاخرين فهذا دأبهم نسبة الافتراء الى الاخريين لباعث مرضى كما حدث مع ابى يزيد .١

ولعل فى كلام الرجل نفسه الغنية التامة عن الخوض فيه قدحا يقول الرجل كمتا نقل السلمى فى تاريخه عنه ": ويحكى عنه في الشطح أشياء ، منها ما لا يصح ، أو يكون مقولا عليه ، وكان يرجع إلى أحوال سنية ، ثم ساق بإسناد له ، عن أبي يزيد ، قال : من نظر إلى شاهدي بعين الاضطراب ، وإلى أوقاتي بعين الاغتراب ، وإلى أحوالي بعين الاستدراج ، وإلى كلامي بعين الافتراء ، وإلى عباراتي بعين الاجتراء ، وإلى نفسي بعين الازدراء ، فقد أخطأ النظر في. ٢

١ سلطان العارفين – الإمام عبد الحليم محمود ٥٩ .

٢ تاريخ الصوفية للسلمى . وسير اعلام النبلاء – الإمام الذهبى –الطبقة الرابعة عشر ٨٦/١٣ ط موسسة الراسالة ٢٠٠١ م .